

عبد الله الطريقي

علم بترول العرب

د.م. مصطفى الرفاعي

فى قلوب و عيون من يعرفون قدره هو الشموخ و رمز للنضال من أجل حقوق العرب.

وإذا كان النفط أحد دعائم اقتصاد الأمة العربية وقوتها ونهضتها فالشيخ عبد الله الطريقي هو باعث هذه النهضة ورائدها.

كان فكره السابق لعصره وعزيمته وعلمه وصلابة نضاله وحسه وانتماؤه العربى الأصيل وراء الكثير من المتغيرات والأحداث التى تمت فى عهده ومن بعده. لم يكن صنيعه أحد ولا مرتزقاً يبحث عن ثراء، بل زعيماً مجدداً اجتمع فى روحه وقلبه فكر وأمل صحوة العرب من غفلة طويلة.. وتوحدهم فى أمة عربية واحدة تتراعى أطرافها وتتكامل ثرواتها وإمكانياتها ويتآخى أبناؤها كى تكون مهابة قوية يعتز أبناؤها بانتمائهم لها.

تأثر فكر وتكوين عبد الله الطريقي بفكر وروح الحركة السياسية العظيمة التى نشطت فى جموع الشباب والطلبة فى الأربعينات، والتى أنجبت الكثيرين من رجالات مصر والعالم العربى، واعتنقت جماهير الشباب فكر النضال والتضحية من أجل التخلص من الاحتلال وتوحد البلاد العربية. وكانت صناعة البترول فى الشرق الأوسط، فى السعودية والعراق والكويت ومصر وإيران ثم بعد ذلك فى ليبيا والجزائر، تحت سيطرة الشركات الأجنبية تديرها وتشغلها وفقاً لمصالحها ولمصالح دولها.

أدرك الشيخ الطريقي أهمية وقيمة الثروة البترولية ونادى بضرورة حسن استخدامها بما يعود على البلاد بالنفع والتنمية. وكان هدفه تعظيم عائدها كى يستخدم فى بناء البلاد العربية دون استنزافها وبيعها بأسعار متدنية لانتاسب مع قيمتها، وقد تبنى ونادى بضرورة تحسين شروط الإتفاقيات بحيث تستفيد الدول العربية من ثرواتها القومية، وكان للشيخ الطريقي فى هذا المجال صولات وجولات وخاصة فى مؤتمرات البترول العربية الأولى وتناولت أحدثه وأبحاثه قضايا تعديل شروط الإتفاقيات البترولية، ومبدأ الظروف المتغيرة والتأميم....إلخ.

نوعبر ١٩٩٧

عمله السباق

- مؤسس منظمة أوبك عام ١٩٦٠ اشترك معه في هذا العمل التاريخي وزير بترول فنزويلا- بييريز ألفونسو- نجحت الأوبك خلال فترة إزدهارها في الحفاظ على أسعار البترول.
- أول وزير بترول عربي إذ عين وزيراً للبترول في المملكة العربية السعودية في عهد الملك سعود بن عبد العزيز في عام ١٩٦٢.
- أول من درس علوم البترول من أبناء الجزيرة العربية (١٩٤٥).
- عين بعد عودته رئيساً لمكتب التفتيش على الزيت الذي كان تابعاً لوزارة المالية بالسعودية والذي استطاع تطويره إلى مؤسسة كبيرة تشرف على صناعة النفط السعودية ثم إلى وزارة البترول.
- وقع أول إتفاقية بترولية بين السعودية والشركات اليابانية في وقت كانت أرامكو الشركة البترولية الوحيدة العاملة بالسعودية- وكانت هذه الإتفاقية أحد أسباب تحسين شروط إتفاقية أرامكو مع السعودية.
- استطاع تعديل شروط اتفاقية أرامكو لصالح السعودية في عام ١٩٦٢. وكانت هذه الاتفاقية تسرى حتى عام ٢٠٠٠، وحذت الكويت وغيرها حذو السعودية بعد ذلك.
- أول من طالب بوقف حرق الغاز بكميات هائلة لما في ذلك من تبديد للثروات القومية وألزم أرامكو بذلك.
- استرد ٣٠٠ مليون دولاراً في الخمسينات من الشركات الأمريكية البترولية العاملة بالسعودية تصحيحاً لحسابات استرداد التكاليف (Cost Recovery).
- أوفد ٣٥ من أبناء السعودية في بعثات للخارج لدراسة هندسة وجيولوجيا البترول والتخصص في الإتفاقيات في وقت لم يكن هناك مهندسون أو خبراء في البترول في السعودية. فهو صاحب ومنشئ مدرسة تكوين جيل من خبراء البترول العرب في عصر لم يكن في بلده من هو قادر على مناقشة الأمور النفطية مع الشركات الغربية أو التفاوض معها.
- بعد تركه الوزارة، أصدر مجلة "البترول والغاز العربي" التي تغير اسمها إلى "نفت العرب" والتي استمرت لمدة ٣٠ عاماً وتوقفت بعد أن ترك الكويت.

الفكر والرسالة

لكل زمان رجاله-منهم من أبلى ومنهم من قنع بمنصب وجاء.

هناك رجال استطاعوا، بما يملكون من فكر وعزيمة وقدرة على العطاء، أن يحققوا لأوطانهم وللأمة العربية طفرات من قوة أو ثراء أو إنماء. لم يكن الطريقي مجرد خبير بترول بل كان صاحب فكر ورؤية بعيدة وتصور لما يجب أن يكون عليه حال أمة العرب، وصاحب رسالة يؤمن بضرورة توحيد العرب وأن يرتقى مستواهم كي يشاركوا في إدارة صناعة البترول.

وقد سخر موقعه وعلمه لخدمة هذه الرسالة فتجاوز تأثيره حدود بلاده واستطاع أن ينشأ منظمة الأوبك في عام ١٩٦٠ ولم يكن بعد وزيراً للبترول.

- كانت القومية العربية قد عانت من انتكاسة الانفصال مع سوريا ومن خلافات بين مصر والعراق. انتهت مبادرة مصدق بتأميم شركة البترول الإنجليزية الإيرانية AIOC في عام ١٩٥١ بعزله والحكم عليه بالسجن في عام ١٩٥٣.

- كان لمصر اهتمام بالبترول إلا أنها لم تكن من الدول البترولية، وعقد بها مؤتمر البترول العربي الأول في إبريل عام ١٩٥٩، وكان للطريقي مواقف معروفة في هذا المؤتمر وكان قد سبقه المؤتمر الهندسي العربي الخامس في عام ١٩٥٤.

في ظل هذه الظروف، وفي اجتماع سرى بالقاهرة بالمعادي، أتت مبادرة الطريقي بإنشاء الأوبك التي لعبت دوراً هاماً وتاريخياً في العلاقات البترولية الدولية.

ولم يدع الطريقي للمشاركة في لقاءات البترول الرسمية منذ إبعاده عن منصبه في عام ١٩٦٣ ولكن يظل له فضل تأسيس هذه المنظمة عام ١٩٦٠.

كان توحيد العرب عام ١٩٧٣ أعظم أيام تاريخهم الحديث. ويدعونا الحديث عن فكر الطريقي إلى التساؤل عما أصاب الآن هذه المسيرة الرائعة التي كانت تبشر بخير وتقدم للعرب:

- دب الخلاف بين أعضاء الأوبك

- فقدت الأوبك قوتها وأهميتها

- تجاوز الأعضاء حصصهم سراً وعلانية

- تراجع مبدأ الحرص على سقف وحصص الانتاج والأسعار الرسمية وأغرق عدد من أعضاء الأوبك وغيرهم السوق بفائض من الانتاج مما أدى إلى انهيار الأسعار.
- انهارت أسعار البترول واستمرت على مستواها المتدنى رغم التضخم العالمى وانخفاض قيمة العملة وعادت القيمة الحقيقية لبرميل الزيت إلى أقل مما كانت عليه قبل إنشاء الأوبك.
- فقدت الدول العربية الغنية ثراها وقوتها وأصبحت تعاني من عجز فى الميزانية.
- فقدت الدول العربية أهميتها السياسية والاقتصادية والاستراتيجية وتحولت سوق البترول العالمى إلى سوق للمشتري تفرض فيها الدول الصناعية الكبرى شروط السوق، وتخاذل العرب وضاعت قوتهم.
- وثقت دول العالم أن أمة العرب لن تفعل شيئاً إزاء ما يجرى من اعتداء على مقدساتهم وحرماتهم وأرواحهم وأرضهم. فقد اعتادوا الاكتفاء بالتنديد فى الصحف دون حراك. وتحول رجال المقاومة (الفدائيون سابقاً) إلى طلاب حكم وملك.

التكوين

الأم عتيبة من قبيلة عتبان بالحجاز والأب من قبيلة الدواسر.

أتم دراسته الابتدائية بمدرسة المحمدية بالكويت ثم التحق بمدرسة الخديوية بالقاهرة فى عام ١٩٣٤ لمدة ثلاث سنوات التحق بعدها بحلوان الثانوية (داخلى) فى السنة الرابعة والخامسة من التعليم الثانوى. درس بكلية العلوم-جامعة فؤاد الأول (القاهرة الآن) قسم جيولوجيا وكيمياء وتخرج فى عام ١٩٤٥.

التحق بجامعة تكساس بأوستن لمدة عامين حصل بعدها على درجة الماجستير فى جيولوجيا وهندسة البترول فى عام ١٩٤٧، ثم تدرّب فى شركة تكساكو فى أوستن وهيوستن بتكساس لمدة عام. خلال دراسته بحلوان الثانوية (داخلى) شارك فى نشاط الكشافة ثم أصبح رئيساً للكشافة بالمدرسة. وقضى ثلاثة أشهر فى مخيم كشفى برأس البر عام ١٩٤٣.

خلال دراسته بمدرسة الخديوية لم تكن له موارد مالية وكان يتعلم بالمجان فى مصر بالثانوى والجامعة. ولم يكن فى بعثة حكومية-إلا أن السفير السعودى بالقاهرة (فوزان) كان يساعده أحياناً

مالياً. سكن خلال هذه الفترة بغرفة صغيرة بشارع الشيخ ربحان بعابدين، تحسنت أحواله نسبياً عندما نجح في الالتحاق بطلوان الثانوية -داخلي على حساب الحكومة المصرية.

تأثر ببعض أساتذته ويذكر منهم د. أحمد رياض ترك -الأستاذ بكلية العلوم- "كان رجلاً مجتهداً وفاضلاً ومثالياً " .

فى عام ١٩٤٥ استقل الباخرة من بور سعيد إلى نيويورك ومنها إلى جامعة تكساس بأوستن لمدة عامين حيث حصل على

Master of Arts in Geology with Minor in Petroleum Engineering (Honorary Alumnus).

كيف وصفه الآخرون

وصفه الأمريكيون بالوطني المتطرف المعادى للغرب- واعتبره شباب العرب بطلاً وطنياً. اتهمه بعض الشيوخ والوزراء بالسعودية فى حينه بأنه مندفع ومصدر متاعب للشركات الأمريكية.

وكان محل تقدير الملك سعود لأنه نجح فى توفير ٣٠٠ مليون دولار لبلده.

وقد أهداه الملك فهد قصراً بالرياض تقديراً له سلمه حاكم الرياض الأمير سلمان مفاتيحه وصك الملكية. كما صرفت الحكومة السعودية له معاش الوزير بأثر رجعى والذي لا زال يتقاضاه. واقتصر تقديره على ذلك.

لقاء مع الشيخ عبد الله الطريقي

فى فيلا تحوطها حديقة جميلة بضاحية المعادى الهادئة التقيت بالشيخ الطريقي فى داره. المعادى تعيد للشيخ ذكريات حلوان الثانوية ومعسكرات الكشافة بصحراء المعادى. واجتماع مولد الأويك السرى عام ١٩٥٩ الذى ضم بيريز ألفونسو ومندوبى الكويت وإيران والعراق أثناء مؤتمر البترول العربى الأول الذى عقد بالقاهرة فى إبريل ١٩٥٩.

فوق بيت النار بالقاعة الرئيسية صورة وحيدة صغيرة للقاء ودى يضم جمال عبد الناصر والطريقي ومحمود أبوزيد مدير عام مصلحة الوقود بوزارة التجارة والصناعة-عالم البترول المصرى وأول مهندس بترول مصرى أو عربى على الإطلاق، وهو أيضاً علم من أعلام البترول العرب ومن صناع التاريخ والذي تميز بفكر سباق وحس وطنى عميق.

ويعيش الشيخ عبد الله مع زوجته وابنته هيا الطالبة بالدراسات العليا بالجامعة الأمريكية.

التقيت بهذه الشخصية التاريخية التي قدمت أعظم العطاء والاسهام لأمة العرب والتي اتخذت المواقف الوطنية الشجاعة أمام كبرى الشركات الأمريكية التي كانت تهابه ولم تستطع أن تنفذ إليه.

وألخص هنا ما دار في عدة لقاءات مع الشيخ عبد الله الذي أجاب على ما طرحناه من أسئلة وسرد ذكرياته وفكره وآرائه.

"في نهاية الأربعينات لم يكن من بين السعوديين من تعلم علوم البترول أو تخصص فيها. عينت رئيساً لمكتب التنقيش على الزيت التابع لوزارة المالية وبدأت في دراسة ومتابعة ما يحدث داخل أرامكو. وبدأ الأمريكيون يشعرون بالقلق من متابعتي لما يدور ومراجعتي لحسابات استرداد التكاليف التي اكتشفت مغالطات بها وصلت قيمتها إلى ٣٠٠ مليون دولاراً في ذلك الوقت، وكذلك من مطالبتي لهم بعدم الإفراط في تبديد ثروتنا البترولية بحرق كميات هائلة من الغاز. وكان طبيعياً أن تسعى الشركات إلى تنحيتي وإبعادى فاتهموني بأني أعوق نشاط أرامكو وأني أسبب لهم كثيراً من المتاعب. وتكررت الشكوى منى لوزير المالية. ولحسن الحظ لقيت مساندة كبيرة من الملك سعود بن عبد العزيز الذي اعتبرني حريصاً على مصالح البلاد وخاصة بعد أن نجحت في استرداد فروق حسابات استرداد التكاليف.

حاولت بعض الجهات الأجنبية تقديم المال لى ولم يكن هذا ليأتى بأى نتيجة معى. فى خلال الفترة من ١٩٥٠ إلى ١٩٦٠ كنت كثير القراءة أبحث عن أفكار جديدة وكنت استعين بمستشارين ممن تركوا أرامكو مثل مكفرسون الذى كان قد فصل من رئاسة أرامكو، لم يعترض الملك سعود على مبادرة تأسيس الأوبك وساند ما كنت أقوم به من أعمال لصالح السعودية والدول البترولية عموماً. وفى عام ١٩٦٢ عينت أول وزير بترول بالسعودية. وكان فيصل قد عاد من هيئة الأمم وعين وزيراً للخارجية. وفى عام ١٩٦٣ تولى الملك فيصل الحكم وقرر تنحيتى وتعيين أحمد زكى يمانى. وكان اتجاه الملك فيصل فى ذلك الوقت وسياساته تختلف عن سياسات الملك سعود.

قررت ألا أتخلى عن رسالتى فذهبت إلى بيروت وأنشأت مكتباً للاستشارات البترولية وأصدرت مجلة "البترول والغاز العربى". وكلاهما كانا لخدمة قضية استرداد حقوق الدول المنتجة للبترول من الشركات العالمية وجعل شروط الاتفاقيات أكثر عدالة وأقل إجحافاً. وكانت هذه الدول-السعودية والعراق وليبيا والجزائر- فى حاجة إلى المال لبناء الدولة ومؤسساتها ولتنميتها زراعياً وصناعياً وعمرانياً إضافة إلى نفقات التعليم والتسليح. كنت أحضر مؤتمرات البترول العربية بصفتى الشخصية، وكنت بين الحين والآخر أدعى كمستشار لحكومات ليبيا والجزائر والكويت.

فى عام ١٩٧١ قرر سليمان فرنجه طردى من لبنان ومنعى من دخولها، واضطرت إلى الرحيل فى عجاله وتركت تصفية مكتبنا وتخزين محتوياته بما فى ذلك أعداد المجلة لفريد جنبلاط شقيق زوجتى.

ذهبت إلى مصر وأقمت بها فى الفترة ما بين ١٩٧١ إلى ١٩٧٣- إلا أن ضعف وسائل الاتصالات لم تمكننى من مباشرة نشاطى- فانتقلت إلى الكويت حيث كنت أقوم وأعضاء مكتبى من الخبراء الفنين والقانونيين العرب بعمل دراسات لحكومة الكويت.

استمرت المجلة فى الصدور لمدة ٣٠ عاماً إلا أنها كانت تحقق خسائر- ولم يكن النشاط الاستشارى ناجحاً بدرجة كافية، ساعدت ليبيا والجزائر والعراق فى وضع استراتيجياتها وفى صياغة مواقفها التفاوضية وتحديد أنسب شروط اتفاقاتها مع الشركات البترولية العالمية".

يحمل الشيخ عبدالله كثيراً من الذكريات الطيبة لمرحلة الشباب والدراسة بمصر ويعتبرها فترة غنية بالحماس والإشباع المعنوى رغم انعدام موارده ورغم الحياة البسيطة والتكشف.

وذكر بكل التقدير زملاء المسيرة أمثال بيريز ألفونسو "الشريف المستقيم الغيور على مصالح بلده" (فنزويلا)، ومحمود أبوزيد "الرجل الوطنى الشجاع الذى لم يكن يتردد فى إبداء رأيه والذى كان يتصل به للتشاور باستمرار". وعبد السلام بلعيد وزير الصناعة والبترول بالجزائر فى الستينات والسبعينات الذى وصفه بأنه "كان إنساناً طيباً غيوراً على بلده- وعربى الحس".

وأثنى الطريقي على مصدق أيضاً فوصفه بأنه "رجل شريف ومستقيم- كان مثلاً يحتذى به، وكان متعلماً تعليماً رفيعاً . إلا أنه أقدم على محاولة التأميم فى توقيت وظروف غير مناسبة".

د.م. مصطفى الرفاعى